مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٢/٢٠٠٧

الأحد ٣ حزيران

أحد جميع القديسين

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

الرسالة

(عبر ١١: ٣٣–٤٠؛ ١٢:١–٢)

يا إخوةُ إنَّ القدِّيسينَ أجمعينَ بالإيمانِ قهَروا الممالِكَ وعمِلوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونجوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانبِ* وأخذت نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجلدَ والقيودَ أيضاً والسجنَ* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غنَمٍ ومَعَزٍ وهم معوَزون مُضايَقون مجهودون* ولم يكنِ العالمُ مستحقّاً لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِدَ* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضلَ أن لا يكملوا بدوننا* فنحن أيضاً إذ يُحدِق

رحلة القداسة

القداسة هي رحلة الإنسان نحو الله، تبدأ بالمعمودية وتنتهي بمشاركة الإنسان بقداسة الله نفسها، أي بالتألّه. إنها إذاً هدف الحياة المسيحية، وهي لا تقتصر على الفرد إنما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجماعة المسيحية التي تشكّل جسد الرب يسوع، وترتبط أيضاً بالمجتمع الذي تحيا فيه الجماعة المسيحية. جوهر القداسة هذه هو المحبة غير الأنانية، والإنسان في رحلة القداسة يسعى إلى الشفاء من مرض المحبة الأنانية والبحث عن السعادة الذاتية.

لقد علّم آباء الكنيسة ان رحلة الإنسان نحو الله تمر بمراحل ثلاث: التطهّر، الإستنارة، التمجيد أو التألّه. بالمعمودية يتطهّر الإنسان من الخطيئة التي تفصله عن الله ويبدأ مسيرته مقاداً من الروح القدس الذي يعلّمه الصلاة، أي لغة التخاطب مع الله: «كذلك الروحُ أيضاً يُعين ضَعفاتِنا، لأنَّنا لسنا نعلمُ ما نُصلّي لأجله كما ينبغي ولكنَّ الروحَ نفسَه يشفعُ فينا بأنّاتٍ لا يُنطقُ بها» (رو ٨:٢٦)، يعاونه بذلك أولئك الذين سبقوه في خبرتهم مع الله في الجماعة. فالصلاة إذاً هبة يمنحها الله للمؤمنين، وقد كُتبت هذه الصلاة مع الوقت بشكل نصوص تعين المؤمن المبتدئ على تعلّمها عن طريق تلاوتها أو الإجابة عليها بـ«آمين» أو «يا رب ارحم» عند سماعها، وقد استعمل الرسول بولس لهذه الغاية عبارة الصلاة بالذهن (الفكر والذاكرة) (١كور ١٤:١٤)، ليميّزها عن الصلاة بالروح، أي الصلاة القلبية.

مرض الإنسان يقوم على عدم قدرة قلبه المظلم على التواصل مع مجد الله (رو ٣:٢٣) بانغماسه بكل أنواع الأفكار التي تحيط به من الخارج (رو ١:٢١–٢٤؛ ٢:٥)، وفي الحالة هذه تكون صورة الله مشوّهة فيصوّر الإنسانُ اللهَ على صورته أو حتى على صورة «الطيور والدَّواب والزحّافات» (رو ١:٢٢–٢٣).

شفاء هذا المرض يبدأ بتطهير القلب من كل الأفكار (رو ١:٢٩–٣١)، السيئة منها والجيدة على حد سواء (الجيدة تكون مرتبطة بحب الذات) وذلك بترفع الإنسان عن كل ما يستعبده، من الاهتمام بالذات وحب الغنى، وحب التملّك والتعلّق بالأهل والأقارب... (متى ١٠:٣٧؛ لو ١٤:٢٦). هدف ذلك

بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلْنُلقِ عنّا كلَّ ثِقلٍ والخطيئةَ المحيطةَ بسهولةٍ بنا. ولنسابق بالصبرِ في الجهادِ الذي أمامنا* ناظِرينَ إلى رئيسِ الإيمان ومكمِّلهِ يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠:٣٢-٣٧؛ ١٩:٢٧-٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَن يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا به قدَّامَ أبي الذي في السموات* ومَن ينكرُني قدَّامَ الناس أنكرُه أنا قدَّام أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثرَ مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثرَ مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبهُ ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجابَ بطرسُ وقال له هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيلِ التجديد متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلسون أنتم أيضاً على اثنَيْ عَشَرَ كرسيًّا تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عشرَ* وكلُّ مَن ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجلِ اسمي يأخذُ مِئَةَ ضِعفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديةَ*

هو تمكين القلب من قبول الصلاة التي ينقلها الروح القدس إليه من الذهن (الفكر والذاكرة)، فيصير القلب في حالة صلاة دائمة، حتى حين يكون نائماً، بينما يكون الذهن مشغولاً بالأمور الحياتية اليومية. وبذلك يدخل في المرحلة الثانية وهي الإستنارة. صلاة القلب هذه لا تمنع الإنسان أبداً من الصلاة بالذهن عندما يشاء من خلال تلاوة الصلوات والمزامير في أوقات محدَّدة، وهذا ما عناه الرسول بولس بقوله: «أصلّي بالروحِ وأصلّي بالذهنِ أيضاً. أرتِّلُ بالروحِ وأرتِّلُ بالذهنِ أيضاً» (١ كور ١٤:١٥).

عندما نقول ان قلب الإنسان يصلّي باستمرار هذا يعني أنه يعي حضور الله في حياته في كل لحظة وهو في حالة تواصل معه، وبهذه الطريقة يدفع الإنسان بالله إلى أن يسكب عليه من مواهبه. كما يستبدلُ الإنسانُ السيئات بالفضائل كالسلام والمحبة والفرح وطول الأناة والرحمة... سعياً وراء المحبة الحقيقية التي هي على صورة محبة الله والتي هي غير أنانية على الإطلاق.

عندما تُشفى محبة الإنسان من الأنانية يغدق الله على الإنسان مواهبه، كما ذكرنا، ويتوّجها بتمجيده أو تأليهه، وهي بحسب خبرة آباء الكنيسة فترة زمنية قد تطول أو تقصر، يدخل فيها الإنسان في لقاء مباشر مع الله، فيظلّله الله بمحبته المطلقة. وقد أطلق الآباء على ذلك تسمية «النور غير المخلوق» الذي يغلّف الإنسان، فلا يدرك الإنسان مصدره.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الآباء حذّروا المؤمنين أيضاً من محاولة الشيطان تضليلهم بإيهامهم أنهم يرون نور الرب، فإذا أدرك الإنسان مصدر النور الذي يراه كأن يراه آتياً من النافذة من زاوية الغرفة مثلاً عرف انه نور كاذب: «لأنَّ الشيطانَ نفسه يُغيّرُ شكله إلى شِبهِ ملاكِ نورٍ» (٢كور ١١: ١٤).

بالدخول في النور غير المخلوق تبطل كل الفضائل والمواهب باستثناء المحبة كما تبطل الصلاة نفسها. وحين يعود الإنسان إلى مرحلة الاستنارة تعود الفضائل والمواهب والصلاة فتنضم إلى المحبة. هذا كلّه يحصل بإرادة الله فقط، فلا يستطيع الإنسان بجهده أن يصل إلى معاينة الله في مجده. إنها نعمة من الله يغدقها على مَن يشاء وساعة يشاء.

قد يبدو هذا الكلام صعباً ولا يمكن فهمه، وهذا عائد بالضبط إلى كونه يفوق إدراكنا، إلاّ أننا لا يمكننا تجاهله، فهو خبرة عاشها الكثير الكثير من الأنبياء والرسل والقديسون ونقلوها إلينا، وما تجلّي الرب بمجده على طور ثابور أمام تلاميذه إلاّ المثال الأجلى على ذلك.

ما يمكننا أن نصل إليه بنعمة الله وجهادنا هو أن نكون مستنيرين، أي أن نمتلك الصلاة القلبية ونسعى للوصول إلى المحبة غير الأنانية، حافظين وصايا الرب وعاملين بها، فيستنير قلبنا ويشفى من المحبة الأنانية. هذا الشفاء لا يطال الإنسان الفرد فقط، ولكنه يشمل الجماعة المسيحية التي هي جسد المسيح، كما يشمل المجتمع الذي يعيش فيه، فيكون شاهداً لمحبة الله للبشر من خلال عيشه هذه المحبة.

انبثاق الروح القدس

«أؤمن بإله واحد... وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والإبن مسجود له

وكثيرون أوَّلون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوَّلين.

تأمل

من أراد أن يعيش متحداً بالمسيح عليه أن يهتم اهتماماً صادقاً بنفسه، أن ينجذب بالمسيح وليس بالأشياء العالمية. عندما سمع الرسول بطرس دعوة المخلّص لم يهتم بالأمور الدنيوية. وكل مسيحي وإن لم تكن له دعوة بطرس الخاصة، مدعوٌ بالنعمة المستمرة التي تعطى للنفس بواسطة الأسرار ليحيا بالمسيح. يتكلّم الرسول بولس عن هذه الدعوة قائلاً: «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب» (غلا ٤:٦). يجب أن نعتبر كل الأشياء الأخرى في المرتبة الدنيا لنتمكن من أن نتبع المسيح. «ليس من المستحب أن نهمل كلام الله لنخدم الموائد» (أع٦:٢) لأنه ما قيمة الخيرات المادية الضرورية بالنسبة لخدمة الله؟ ثم ان من يخدم الله بصدق سيجد الخيرات المادية الضرورية، لأن الله هو النبع والقائد لكل خير. «اطلبوا ملكوت الله وبره وكل شيء يزاد لكم» (متى ٦:٣٣). ان الله الذي لا يكذب قد أعطانا هذا الوعد.

يتكلم المخلّص كثيراً بقصد حمايتنا من الاهتمامات الدنيوية

وممجد، الناطق بالأنبياء...».

هذا ما نعلنه كلّما تلونا دستور الإيمان النيقاوي – القسطنطيني الذي وضعه آباء المجمعين المسكونيين الأول (٣٢٥) والثاني (٣٨١). نعلن إيماننا بأن الروح القدس رب كامل وإله كامل مع الله الآب والله الإبن، وبأنه أزلي وأبدي، سرمدي، لا بدء له، غير مخلوق، دائم الوجود وثابت الوجود، موجود دائماً مع الآب والإبن، ومسجود له وممجّد معهما في وحدانية الثالوث الأقدس. وهو ملهم الأنبياء في العهد القديم، والرسل والتلاميذ في العهد الجديد، وكل مؤمن بيسوع على انه رب لمجد الله.

الإعلان عن انبثاق الروح القدس من الآب وحده يستند إلى كلام الرب يسوع إلى تلاميذه: «ومتى جاءَ المُعزّي الذي سأرسِله أنا إليكم من الآبِ، روحُ الحقِّ الذي من عندِ الآبِ ينبثقُ فهو يشهدُ لي» (يو ١٥:٢٦). الكنيسة الشرقية ما زالت تحافظ على هذا الإعلان الإيماني لغاية اليوم، إلا ان الكنيسة الغربية تبنّت رسمياً في أوائل القرن الحادي عشر تعديلاً لنص دستور الإيمان ليصير «وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والإبن». هذه الإضافة «والإبن» (Filioque) كانت السبب المباشر الذي سبب انشقاق الكنيسة بين الشرق والغرب، إضافة إلى تراكمات التباعد الثقافي والحضاري بينهما.

أصل هذه الإضافة يعود إلى العام ٤٠٠، حين كانت الكنيسة في إسبانيا ما زالت تعاني من أتباع الهرطقة الآريوسية الرافضين لألوهة الإبن. ففي محاولة من الكنيسة هناك للدفاع عن ألوهة الإبن قالت ان الروح القدس منبثق ليس من الآب فقط، بل ومن الإبن أيضاً، لأن الإبن إله كامل. وكانت أيضاً قد برزت بدعة البريشيليانيين (نسبة إلى Priscilien أسقف Avila في إسبانيا) التي قالت بأقنوم واحد للثالوث.

عام ٥٨٩ تبنَّت كنيسة إسبانيا رسمياً عقيدة الإنبثاق من الآب والإبن وذلك في القانون الثالث لمجمع توليدو الثالث الذي نص على ان كل من لا يعترف بالإنبثاق من الآب والإبن يُقطع من الكنيسة. كما أقرّت كنيسة إسبانيا رسمياً هذه الإضافة على دستور الإيمان عام ٦٣٣ في مجمع توليدو الرابع، وذلك بأمر الملك روكارد، الآريوسي سابقاً. من هناك تسربت الزيادة إلى فرنسا فناصرها الإمبراطور شارلمان الذي عقد مجمعاً عام ٨٠٩ في إكس لا شابل وثبَّت هذه العقيدة. لم يرضَ البابا لاون الثالث بهذه الإضافة، بل أمر بنقش دستور الإيمان على لوحين من الفضة باليونانية واللاتينية وذلك بحسب نص المجمعين المسكونيين الأول والثاني، في عبارة «والإبن»، وعلّقهما في كاتدرائية القديس بطرس في روما، وذيَّلهما بعبارة: «هذه كتبتها أنا لاون حفاظاً على الإيمان الأرثوذكسي». هذا الأمر لم يمنع انتشار الصيغة الجديدة للإنبثاق من الآب والإبن في فرنسا وإيطاليا وألمانيا حيث القبائل الجرمانية.

أول تعاطي للشرق مع هذه المسألة كان مع القديس فوتيوس بطريرك القسطنطينية الذي عقد مجمعاً عام ٨٧٩ رفض فيه إضافة عبارة «والإبن». أما باقي كنائس الشرق فلم تسمع بالموضوع.

بقي الباباوات رافضين الإضافة حتى أوائل القرن الحادي عشر، رغم احتلال الإمبراطور الجرماني أوتون الأول Otto I (٩٣٦–٩٧٣) لإيطاليا

ويقول بأنه لن يتركنا بل سيهتم بنا وبحياتنا. انه يشدد على هذه الحقيقة لأننا مشرفون على خسارة الأمور السامية لسبب اهتمامنا الدنيوي. إذا كان الاهتمام الدنيوي خطراً فما قولك بالاهتمام المرفق بالعذاب؟ ان هذه الحالة من النزاع الحياتي تقود الإنسان إلى منحدر الضلال. من ترك نفسه ليكون ألعوبة بيد القدر والأهواء الحياتية يعاني دواراً وانهياراً نفسياً وتضعضعاً ولا يتردد عن فعل كل ما هو قبيح وخاطئ ويتوقف كل نشاط وإمكانية وعمل، ويصبح عبداً تحت أقدام الأهواء، وعندما توجد النفس في مثل هذه الحالة المحزنة تملؤها جراح الخطيئة فتنقاد إلى الموت الروحي، إلى الابتعاد الكلي عن الله. إلى أين يستطيع الحزن أن يقود الذي يغذيه الاهتمام بالأمور الدنيوية. «ان حزن هذا العالم يعمل من أجل الموت» (٢ كو ٧: ١٠) فمن أراد أن يحيا الحياة الروحية عليه ألاّ يطرد الحزن فقط بل كل اهتمام وقلق، هذا العدو اللدود للحياة المسيحية. فعلى من يريد أن يحيا الحياة في المسيح أن يحصن نفسه ضد كل الاهتمامات الكافرة.

القديس نقولا كاباسيلاس

عام ٩٥١، والضغوطات التي مارسها وحلفاءه على البابوات. عام ١٠٠٩ استقال آخر بابا أرثوذكسي روماني يوحنا الثاني عشر، وفُرض أول بابا جرماني سرجيوس الرابع. هذا تلا دستور الإيمان مع الإضافة مما دفع بطريرك القسطنطينية لتحذيره. ولما لم يحذف الإضافة شطب بطاركة القسطنطينية وانطاكية وأورشليم والإسكندرية اسمه من لائحة الأساقفة (الذبتيخا). عام ١٠١٤ حضر الإمبراطور هنري الثاني الجرماني إلى روما ليتوِّج البابا بندكتوس الثامن، ففرض الطقس الجرماني وأُنشد دستور الإيمان مع الإضافة، ونُزعت اللوحتان اللتان علّقهما البابا لاون الثالث.

القطيعة النهائية بين الشرق والغرب حصلت في تموز عام ١٠٥٤ عندما كان موفد البابا لاون، الكاردينال همبرت، يزور القسطنطينية لبحث بعض الأمور الكنسيَّة. ولما لم يتوصل إلى اتفاق دخل همبرت كنيسة الحكمة الإلهية ووضع على المذبح حرماً للبطريرك ميخائيل فيما كان هذا يخدم القداس الإلهي. فرد عليه البطريرك بحرم مماثل للبابا. وهكذا حصل الإنشقاق في الكنيسة.

لا بد أن نوضح سبب رفض الكنيسة الشرقية لانبثاق الروح القدس من الآب والإبن لأن هذا الكلام يعني وجود مصدرين للألوهة، وهكذا ندخل في الشرك وتعدّد الآلهة. والقديس فوتيوس يقول: «ان القول بأن الآب علّة الإبن وان الآب والإبن علّة الروح القدس يوجب أن يكون الآب والإبن والروح القدس علّة لأقنوم رابع...).

في محبة الله

مَن كانت نفسه عزيزة في عينيه لا يستطيع أن يحب الله. أما الذي لا يحب ذاته من جرّاء فائق غنى محبة الله له (أف ٢:٧) فهذا يحب الله. لذا فإن مثل هذا الإنسان لا يطلب أبداً مجده بل مجد الله، لأن الذي يعزّ نفسه يطلب مجد نفسه. من يحب الله يحب مجد خالقه، إذ من خصائص النفس المتحسّسة لحب الله أن تطلب دائماً مجده في حفظها للوصايا كافة، وأن تنعم بانسحاقها، فبالله يليق المجد لأجل عظمته، وبالإنسان الانسحاق ليصير أليف الله. إن فعلنا هذا بفرح نحن أيضاً، على مثال القديس يوحنا المعمدان، فسنشرع إلى ما لا نهاية بترداد «ينبغي ان ذلك ينمو واني أنا أنقص» (يو ٣:٣٠).

من أحبّ الله من صميم القلب هذا قد عرفه الله (أنظر ١ كور ٣:٨). فإنه بالقدر الذي يتقبل فيه أحدٌ محبة الله، في صميم النفس، يصير حبيب الله. لذا فإن مثل هذا الإنسان يغدو ولعاً باستنارة المعرفة حتى العظم ولا يعود يعرف ذاته بل يغيّره حب الله تغييراً كلياً. مثل هذا الإنسان يكاد لا يكون في هذه الحياة لأنه مع استمرار سكناه في الجسد يهاجر بحركة نفسه إلى الله بالمحبة دون انقطاع ويبقى ملتصقاً به بقلب ملتهب بنار الحب دون هوادة في نوع من شوق لا يقاوَم. ذلك ان الحب الإلهي قد اقتلعه مرّةً من حبّه لذاته «لأننا إن صرنا مختلّين فلله أو كنا عاقلين فلكم» كما يقول الرسول (٢ كور ١٣:٥).

القديس ذياذوخس

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb